فكرة صناعة المعجم في كتب شروح الشعر العربي القديم
شرح المعلقات السبع للزوزني نموذجًا

د. مسفر بن محماس الدوسري *

ملخص البحث:

هذا بحث يعتمد على المنهج الوصفي لبيان فكرة صناعة المعجم في شرح الزوزني للمعلقات السبع ، الشرح الذي اعتمد فيه الزوزني على آليات المعجميين في الشرح والتفسير، فقد أفاد من ظاهرة الترادف، كما أفاد في شرحه من ظاهرة النظائر والشرح بالاشتقاق والصيغ الصرفية، وكذا المشترك اللفظي والضد والأضداد ، وقد أفاد أيضا من التفسير بالنوع والتفسير بالأمثلة التوضيحية، وبالتعريف بنوعيه المختصر والممتد، وكل ذلك لتقريب المعنى وإظهار الدلالة، ومن خلال نتائج البحث تبدو فكرة الصناعة المعجمية بيّنة بجلاء في شرح الزوزني للمعلقات السبع.

Abstract

This is a research based on the descriptive approach to explain the idea of making a lexicon in explaining Al-Zawzani to the seven suspensions, the explanation in which Al-Zawzani reported from the mechanisms of the lexicographers in explanation and interpretation. And the opposites, and he also benefited from the interpretation by type and the interpretation with illustrative examples and by defining its two types, the short and the extended, all to bring the meaning closer and show the significance,

* أستاذ اللغويات التطبيقية المشارك – جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز-كلية التربية

and through the results of the research, the idea of the lexical industry appears clearly in Al-Zawzani's explanation of the seven suspensions.

مقدمة

بذل علماء اللغة العرب جهودًا كبيرة في جمع اللغة؛ مما ساعد على ظهور العديد من المعجمات العربية . وكان الغرض منها تمكين أبناء الأمة العربية من حفظ اللغة وتعلمها، وحمايتها من الدخيل الذي لا يقبله مدرجها اللغوي ، فضلا عن صيانة الثروة اللغوية من الضياع . وتعدُّ صناعة المعجم العربي من أقدم الصناعات المعجمية في لغات العالم الحية، بل أغزرها كَلِمًا، وأغناها نوعًا، ونلحظ أن علماء اللغة - وهم يعدون العدة لصناعة المعجم- قد أدركوا أن للكلمة العربية التي ستكون نواة لمعاجمهم جانبين مهمين هما : الشكل والمعنى ؛ لذا اختلفت عندهم طرائق عرض المادة اللغوية وأسلوب تناولها؛ مما أفضى إلى ظهور نوعين من المعاجم اللغوية وهما : معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني.

ومعلوم أن المعجم يعد فرعًا أصيلا من فروع علم اللغة التطبيقي ؛ وذلك لأنه يمثل الجانب التطبيقي للغة، فهو الجسر الذي يربط دارس اللغة باللغة ، وهو البوابة الرئيسة للدخول إلى عالم اللغة .

وإن كان المعجم هو فرع أصيل من فروع علم اللغة التطبيقي؛ فإن صناعة المعاجم ستكون تبعًا لذلك الفرع ؛ لأنها تتصل بالعملية التعليمية . وليس الأمر قاصرًا على المعجم الثنائي اللغة ، بل ينسحب الأمر على المعاجم الآحادية أيضًا .

والدراسات المعجمية في أساس تكوينها - تقوم على ركنين أساسيين هما : علم المعاجم ، وصناعة المعجم، وصناعة المعجم تتناول مكونات المعاجم وطرائق إعدادها ، والمعجم كما عرّفه د. محمود فهمي حجازي هو: (الكتاب الهادف إلى إزالة غموض الدلالة، وإلى إيضاح جوانبها) [1].

(1) البحث اللغوي ، د. محمود فهمي حجازي ، دار غريب ، القاهرة 1987 ص 47.

وعند إعداد المعجم يكون اعتماد المعجمي على النصوص اللغوية الرصينة ، ولا يجوز الاكتفاء بالنقل من المعاجم السابقة ، ويكون التركيز في العمل المعجمي على هجاء الكلمة ونطقها وتأصيلها، إضافة إلى تقديم معلومات صرفية ونحوية في ثنايا عرض الكلمات .

عندما ذكرنا تعريف المعجم أوضحنا أنَّ من أهم أهدافه إزالة غموض دلالة الكلمة ، وإزالة هذا الغموض يتم بطرائق عدة، وأساليب شتى منها: الشرح بالترادف والشرح بالتضاد والأضداد وبالنظير وبالسياق اللغوي، وبالأمثلة التوضيحية إلى غير ذلك من أساليب الشرح وطرائقه. وذلك بعد أن يقوم المعجمي بجمع المفردات، وتصنيفها، وترتيبها وفق نظام معين قبل نشرها في صورة معجم أو قاموس .[1]

ويفاد من المعاجم غالبًا في تفسير النص الأدبي الذي يجيء في صورتين هما:

1- التفسير المعجمي، وهذا فيه يتم توضيح معاني الكلمات الواردة في النص وبيان دلالاتها في السياق الذي وردت فيه، ودور هذه الدلالات في توصيل أفكار النص.

2- التفسير المعنوي، وفيه يتم شرح الأفكار الرئيسة والثانوية وربطها بخبرات الأفراد والبيئة المحيطة بهم.

والذي يهمنا في هذا المقام المحور الأول والخاص بالتفسير المعجمي، الذي يتم فيه توضيح معاني الكلمات وبيان الدلالات. وهذا يعني أنَّ شرح النصّ الأدبي يمثل مشروعًا لبناء معجم لغوي، وخاصة إذا كان الشرح يتناول مجموعة من النصوص لشعراء أو أدباء مختلفين ، كما نلحظ ذلك في شرح المعلقات السبع للزوزني؛ فقد تناول فيه الشارح نصوصًا شعرية في فترات زمنية متقاربة، فعالج تلك النصوص معالجة معجمية أهّلتْه لتحرير المعاني، والوصول إلى التفسير المعنوي من خلال آليات التفسير المعجمي من استعمال للمرادف وللمغاير والنظير والمشترك اللفظي والصورة والسياق والترجمة والنوع وغيرها من أدوات المعجمي ، ومن خلال جهد الزوزني اللغوي هذا ندرك أن فكرة صناعة المعجم في كتب شروح الشعر العربي القديم بعامة ، وشعر المعلقات بخاصة تبدو جليّة واضحة . ولا يعدم الباحث التماس الأدلة للبرهنة على ذلك . وهذا ما اهتمت به هذه الدراسة التي جعلت من المعلقات ميدانًا لها .

(1) مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي ، لحلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية 1988 ص13.

والمعلقات يكفيها فخرًا وشموخًا ما قاله عنها القرشي في جمهرة أشعار العرب :"من أجود الشعر وأدَّقه معنًى وأوسعه خيالًا وأبرعه أسلوبًا وأسمعه لفظًا وأعمقه معنى" [1] ولأهمية المعلقات وشهرتها في الأدب العربي عكف جمع من العلماء على شرحها وبيان معانيها واستقصاء دلالاتها، ولكن شرح المعلقات السبع للزوزني كان أهم هذه الشروح؛ وذلك لسعة أهدافه، وغزارة مادته، ووضوح منهجه ، وميله للإيجاز، إضافة إلى ما من فيه دراسة تطبيقية لمفهوم الدلالة اللغوية في الشعر الجاهلي، وتنوع الأساليب التي استخدمها في تفسير المعاني وشرح الدلالات ، وقد أصبح شرح المعلقات السبع للزوزني يذكر أولًا كلما ذكرت شروح المعلقات رغم كثرة شراحها من علماء العربية وأساطين اللغة، ولهذه الأسباب جعلته محورًا ترتكز عليه دراستي هذه .

الدراسات السابقة:

بالبحث في المكتبات العامة والخاصة والإلكترونية لم أجد دراسة قد تناولت فكرة الصناعة المعجمية في شعر المعلقات، وإنما هناك دراسات تقاربها في السِّمات العامة كدراسة "إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل أسلوبي" د. محمد العبد ، ودراسة "نظام الجملة في شعر المعلقات"، د. محمود نحلة، "والأدوات ووظائفها النحويّة في شعر المعلقات" د. محمد محيي الدين سالم، وكلّها دراسات تناولت المعلقات، ولكنها في ميادين أخرى غير فكرة صناعة المعجم .

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

- بيان فكرة صناعة المعجم في شرح المعلقات السبع للزوزني.
- الوقوف على جهود الزوزني في تأصيل الفكرة المعجمية في شرحه ذائع الصيت.

أهمية البحث :

تتميز شروح المعلقات بوفرة المادة اللغوية وثرائها ، كما أن علماء اللغة قد اتخذوا هذه الشروح سبيلا لإخراج قدراتهم اللغوية؛ وذلك لرصد كثير من الظواهر اللغوية التي تشير إليها نصوص تلك المعلقات ، ولشرح المعلقات السبع للزوزني قصب السبق في ذلك ، فهو يمثل

(1) جمهرة أشعار العرب للقرشي ، دار المسيرة بيروت ،ص4-35 .

بصدق وحقٍّ وثيقة لغوية نادرة تعكس دراسة جوانبها الجهد اللغوي المتميز لعلماء ذلك العصر، فضلا عن كون الشرح يعد ميدانًا رحبًا للدراسة ، وكأسًا مترعًا بالنماذج التطبيقية التي يجب عرضها ودرستها لتسدّ خللا في المكتبة العربية. وقد جاءت الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة:

المبحث الأول: شرح المفردات وتفسيرها بالتعدد اللفظي .

المبحث الثاني: شرح المفردات وتفسيرها بالتعدد المعنوي.

المبحث الثالث: شرح المفردات وتفسيرها بالسياق .

منهج البحث: اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، فهو المنهج الأنسب لمباحث الدراسة.

الكلمات المفتاحية : صناعة ـــ المعجم ـــ الزوزني

المبحث الأول

شرح المفردات وتفسيرها بالتعدد اللفظي

معلوم أن التعدد اللغوي يمثل جانبين : هما التعدد اللفظي والتعدد المعنوي ، ولكون اللفظ هو أول ما يلقانا في النص الأدبي فسنبدأ به . وسيكون التناول لهذا النوع من التعدد اللغوي من خلال مكوناته الأساسية التي تتمثل في الآتي :

1- الشرح بالمرادف:

الترادف في اللغة عرفه علماء العربية بأنّه " دلالة أكثر من لفظ على معنى واحد، أو هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد " [1].

ولعلماء العربية مواقف متباينة من اعتماد الترادف؛ ففريق منهم أنكره تمامًا وقال لا يجوز وقوعه في العربية أبدًا . ومن هؤلاء أبو العباس ثعلب، وأبو على الفارسي، وأبو هلال العسكري. وفريق أقرّ بوجوده، بل بالغ في الأخذ به وعلى رأس هؤلاء ابن خالويه ، وفريق ثالث توسط في الأمر فيخرج من ظاهرة الترادف ما ليس منها ، ويعترف بوجودها من خلال أمثلة محددة لا يمكن تجاهلها ، ومنهم الخليل بن أحمد وسيبويه. وقد أفاد أصحاب المعاجم من هذه الظاهرة اللغوية في تفسير المعاني فهذا ابن منظور يعتمدها عند تفسير معنى "اليَرَناء" فيقول :" واليُرناء

(1) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ، تحقيق على البجاوي ، مطبعة الحلبي ، مصر 1958م ، ص 4-2.

مثل الحناء" [1] ، ويقول في موضع آخر عند تفسير معنى الهجير: " الهجير كالمهجر " [2] فقد فسر اللفظ بما يماثله في المعنى ويرادفه في الدلالة .باستعمال ألفاظ مثل: (مثل وكاف التشبيه) ونجد ذلك عند الأزهري عند تفسير لفظ (هرق)" وهَرَقْتُ مثلُ أَرَقْتُ." [3]، ومثله عند الفيروزآبادي" ومُهْراقٌ: صَبَّهُ، وأصْلُه: أراقَهُ يُريقُه"، [4] وكذا عند الزبيدي "، وهَرَقْتُ مثلُ أَرَقْت" [5] فنلحظ أن ألفاظ الشرح عند هؤلاء العلماء متقاربة جدا . وكلها قد اعتمدت على ألفاظ تشير إلى الترادف كقولهم (مثل).

وقد أفاد الزوزني أيضًا من ظاهرة الترادف في شرحه للمعلقات، ونلمس ذلك جليًا في شرحه لقول امرئ القيس :

وإنّ شِفائي عَبْرةٌ مُهْراقةٌ فهلْ عِندَ رسمٍ دارسٍ من مُعْوَّلِ [6]

يقول في شرح مهراقة " المهراق والمراق : المصوب " [7] ونجد ذلك بوضوح تام عند شرحه لقول طرفة بن العبد :

وإنّي لأُمْضِي الهَمَّ عندَ احْتِضارِه بعَوْجاءَ مِرْقالٍ تروحُ وتَغتدِيَ [8]

يقول : " الاحتضار والحضور واحد" [9]، فهنا قد جعل الاحتضار والحضور بمعنى واحد . وبذا قرب المعنى المراد ووضّح الدلالة المعنية.

وكذا عند شرحه لبيت لبيد بن ربيعة الذي يقول فيه:

فتنازعا سَبِطاً يطيرُ ظِلالُه كدُخانِ مُشْعَلَةٍ يُشَبُّ ضِرامُها[10]

---

(1) لسان العرب 314/15 (يرنأ).

(2) لسان العرب 24/15 (5جر).

(3) تهذيب اللغة 258/5.

(4) القاموس المحيط 930.

(5) تاج العروس 14/27.

(6) ديوان امرئ القيس شرح د. عمر الطباع ، دار ألأرقم ، بيروت ، لبنان ص 93.

(7) تهذيب اللغة 187/2.

(8) ديوان طرفة بن العبد ، حمدو طماس ، دار المعرفة بيروت ، 2006م ص 27.

(9) شرح المعلقات السبع للزوزني ص70.

(10) ديوان لبيد ص 110.

قال : "التنازع مثل التجاذب" [1] . وكذا عند تناوله لقول زهير إذ يقول :

كرامٍ فلا ذو الضِّغن يُدركُ تَبلَه ولا الجارمُ الجاني عَليهمْ بمُسْلَمِ[2]

يقول في شرح الضغن " الضغن والضغينة واحد ؛ وهو ما استكن في القلب من العداوة " [3]

فنلاحظ في الأمثلة السابقة أن الزوزني قد اعتمد على التفسير بالمرادف ، فنراه يسوق بعض الألفاظ ثم يذكر لها معنى واحدا ، أو يأتي ببعض الألفاظ ثم ينص على أنها واحد، أو يأتي بلفظ ويأتي بآخر يرادفه في المعنى فيقول : (كذا مثل كذا)

وكل ذلك يعد صناعة معجمية خالصة نجدها بيّنة عند أصحاب المعاجم كما أشرنا لذلك.

2- الشرح بالمُناظر (النظير):

معلوم أنَّ للنظائر دورًا مهماً في العربية، وبخاصة في توضيح المعاني وتقريب الصور إلى الأذهان،وهو نمط متبع عند المعجميين ، فهذا الأزهري يشرح البعير بقوله " الْبَعِير من الْإِبِل بِمَنْزِلَة الْإِنْسَان: يَقع على الْجمل والناقة إِذا أجْذَعا". [4]، وذات اللفظة عند الزبيدي في التاج في قوله :نقلا عن الصّحاح: "والبَعِيرُ من الإبل بمَنْزِلَةِ الإِنْسَانِ مِنَ النّاس، يُقَال: الجَمَلُ بَعِيرٌ، والناقَةُ بَعِيرٌ."[5] . وكذا عند الفيروزبادي في قاموسه عند تفسير لفظ آخر هو لفظ (الجرير) يقول "والجَرِيرُ: حَبْلٌ يُجْعَلُ للبَعيرِ بمَنْزِلَةِ العِذارِ للدَّابَّةِ، والزِّمامُ." [6] وقد اعتمد الزوزني طريقة الشرح بالنظير في شرحه للمعلقات وذلك عند شرحه قول طرفة :

وخدٍّ كقِرْطاسِ الشَّآميِّ ومِشْفرٌ كَسِبتِ اليمانيِّ قدُّه لم يُحرّدِ [7]

---

(1) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 145.

(2) ديوان زهير ص 69 والتبل : الحقد.

(3) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 123.

(4) تهذيب اللغة للأزهري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،2001م 229/2.

(5) تاج العروس للزبيدي ، مجموعة محققين ، دار الهداية 218/10.

(6) القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2005 ص363.

(7) ديوان طرفة ص 30 وفيه يجرد بالجيم المعجمة.

قال الزوزني في شرح المشفر :" المشفر للبعير بمنزلة الشفة للإنسان " [1] ، فنجده قد جعل المشفر في البعير مناظرًا للشفة في الإنسان . وهو أسلوب من أساليب تقريب المعنى، ونجده يعتمد ذات الطريقة في موضع آخر عندما أراد أن يشرح معنى (السقب) في قول عمرو بن كلثوم:

فما وَجَدتْ كوَجْدِي أمُّ سَقْبٍ أضَلّتْه فَرَجّعَتِ الحَنِينا [2]

قال الزوزني:" البعير بمنزلة الإنسان ، والجمل بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة ، والسَّقْب بمنزلة الصبي ، والحائل بمنزلة الصبية ، والحوار بمنزلة الولد، والبكر بمنزلة الفتى، والقلوص بمنزلة الجارية"[3]، فلاحظ هذا التفسير المعتمد على ظاهرة النظير، وهذا الترتيب العجيب لأطوار الحيوان والأبل بخاصة بما يقابلها من أطوار في حياة الإنسان .

ونلمس قريبًا من ذلك في شرحه لقول عنترة بن شداد :

تأوي له قُلُصُ النّعامِ كما أوَتْ حَزِقٌ يمانية لأعْصَمَ طِمْطِمِ [4]

قال الزوزني:" القلوص من الإبل والنعام : بمنزلة الجارية من الناس ، والجمع قلص وقلائص" [5]، فقد جعل القلوص من الإبل نظيرًا للجارية من الناس، وفي كل الأمثلة الواردة آنفًا نجد أنَّ الزوزني قد اعتمد على طريقة التفسير بالنظير في شرح بعض أبيات المعلقات، وذلك لحرصه على تقريب الصورة إلى الأذهان، ومما عرضناه يتبين لنا أن ما اعتمده الزوزني من شرح وتفسير للمفردات بالنظير إنما هو صنعة معجمية خالصة أيضًا .

3- الشرح بالاشتقاق:

(1) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 78.

(2) ديوان عمرو بن كلثوم ، د. عمر الطباع ، دار القلم ،بيروت لبنان ص 64 والوجد بمعنى المحبة.

(3) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 176.

(4) ديوان عنترة بن شداد ، دار صادر ،بيروت لبنان 2005م ، ص 20 والحزف : الجماعات ، وطمطم : الذي لا يفصح ، وفي شرح الزوزني لأعجم.بدلا من لأعصم.

(5) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 205.

تعد الصِّيَغُ الصرفية أو الأوزان الاشتقاقية إحدى الحقول الدلالية التي ذكرها العلماء[1] والاشتقاق يعني تصريف الكلمة في عدة بنى صرفية ، وهذه الطريقة هي إحدى وسائل المعجميين في شرح المفردات وبيان دلالات الألفاظ وتفسيرها، فهذا صاحب اللسان يعتمد طريقة الاشتقاق في بيان معنى (أبد) يقول : " أبدت البهيمة تأبُد وتأبِد أي توحشت ، وأبدت الوحش تأبُد وتأبِد أبودا وتأبّدت تأبّدا توحشت ، والتأبّد التوحش" [2]، وورد عند الأزهري في التهذيب "الأوابِد الَّتِي قد تَوَحَّشتْ ونَفَرت من الإنْس يُقَال: قد أَبَدَت تَأْبُد وتَأْبِد أُبُوداً وتَأَبَّدَتْ تَأَبُّداً" [3]، وكذا عند الفيروزآبادي" وأبَدَتِ البَهيمَةُ تَأْبِدُ وتَأْبُدُ: تَوَحَّشَتْ و. بالمكانِ يَأبِدُ أُبُوداً: أقامَ"[4] ، والأمر ذاته عند الزبيدي في تاج العروس "أَبِدَ البَهِيمُ {يَأْبَد} أُبُوداً، {وتأَبّدَ} تأَبُّداً: (تَوَحَّشَ). والتّأَبُّد: التّوحُّشُ"[5]، فنجدهم جميعًا قد اعتمدوا على الصيغ الصرفية، والأوزان الاشتقاقية في تقريب دلالة اللفظ وتقريب معناه .

وقد أفاد الزوزني من الصيغ الاشتقاقية في شرحه للمفردات، ونلمس ذلك عند شرحه قول امرئ القيس:

وتعْطو برَخْصٍ غير شَثْنٍ كأنّه أساريعُ ظبْيٍ أو مساويكُ إسْحلِ[6]

فقال في شرح ذلك :" العطو ": التناول والفعل عطا يعطو عطوًا ، والإعطاء المناولة، والتعاطي التناول ، والمعاطاة الخدمة والتعطية مثلها " [7] فنجده قد اعتمد تماما على الاشتقاقات والصيغ الصرفية لتقريب الصورة والوصول للمراد، و نجد مثل ذلك عند تفسيره لقول زهير:

فأصْبحْتُما مِنها عَلى خيرِ مَوْطنٍ بَعِيدَيْنِ فيهَا مِن عُقُوقٍ ومَأْثَمِ[8]

---

(1) علم الدلالة ، أحمد مختار عمر، عالم الكتب 1992م ص80.

(2) لسان العرب 32/1 (أبد).

(3) تهذيب اللغة 146/14.

(4) القاموس المحيط 264.

(5) تاج العروس 373/7.

(6) ديوان امرئ القيس ص106 والشثن : الغليظ والسروع : دود يكون في البقل ، والأسحل : نوع من الشجر.

(7) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 34.

(8) ديوان زهير بن أبي سلمى ص67.

يقول:" المأثم : الإثم ، يقال: أثم الرجل يأثم إذا أقدم على إثم ، وأثّمه الله يؤثِّمه إثاما وإثما إذا جازاه بإثمه ، وأثمه إثاما صيّره ذا إثم ، وتأثّم الرجل تأثّما إذا تجنب الإثم " [1]، فنلاحظ أنه قد أبدع في تعداد الاشتقاقات الصرفية للمادة المراد تفسيرها، ونجد شبيها لذلك عند شرحه لقول لبيد بن ربيعة :

عفتِ الدِّيارُ مَحَلّها فمُقَامُها بمنىً تأبّدَ غَوْلها فَرِجامُها [2]

يقول الزوزني: " تأبدّ: توحّش ، وكذلك أبِد يأبَد ويأبُد أبُوداً " [3] ، فنجد الزوزني في جميع الأمثلة السابقة قد اعتمد على الاشتقاقات الصرفية في تجلية المعنى وبيان دلالاته.

فمن خلال الأمثلة السابقة نجد أن من وسائل صنعة المعجميين الشرح والتفسير بذكر اشتقاقات المفردة ، وهو ذات الطريق الذي سلكه الزوزني عند تفسير بعض المفردات في شرحه للقصائد السبع .

المبحث الثاني

الشرح والتفسير بالتعدد المعنوي:

والتعدد المعنوي نعني به من الظواهر اللغوية: المشترك اللفظي ، والضد والأضداد ، ونفصل ذلك فيما يلي :

1- الشرح بالمشترك اللفظي:

يقول سيبويه: " واعلم أن في كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين" [4] . من كلام سيبويه ندرك أن المعاني يمكن أن تتعدد للفظ الواحد في اللغة العربية ، وهو ما يسمى عند بعض علماء العربية بالمشترك اللفظي ، ويطلق عليه فريق من العلماء ما اتفق لفظه واختلف معناه، وقد عرّفه السيوطي بأنّه "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل

---

(1) شرح المعلقات السبع للزوزني ص113.

(2) ديوان لبيد ص107 . المغول : اسم موضع والرجام : جبل .

(3) شرح المعلقات السبع للزوزني ص131.

(4) الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، 1982م ، 7/1.

تلك اللغة"[1] ومن تعريف السيوطي يمكننا تحديد شروط المشترك اللفظي والتي تتمثل في: أن يكون الاختلاف في إطار اللغة الواحدة، وأن تكون الدلالة في الأول بذات الدرجة والمستوى في الثاني.

وقد اختلف علماء العربية حول وجود ظاهرة المشترك اللفظي، كما اختلفوا – كما رأينا سابقا- في ظاهرة الترادف، فمن العلماء من أنكره مطلقا وتأول المعنى الأول على الحقيقة والثاني على المجاز، ومن هؤلاء ابن درستويه. ومنهم من قال بوجوده وضربوا له الأمثلة، ومن هؤلاء الخليل وسيبويه والأصمعي [2] .

وفرقة ثالثة مثلت رأيًا وسطًا معتدلًا، وعلى رأس هؤلاء أبو علي الفارسي الذي يرى " أن اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين يجب ألا يكون قصدًا في الوضع ، ولا في الأصل ، ولكنه ناتج من تداخل اللغات، أو أن يكون اللفظ استعير لمعنى، ثم يكثر على الألسن فيصير بمنزلة الأصل" [3].

ومهما كان الاختلاف في أمر المشترك اللفظي فقد مثّل مادة خصبة لأصحاب المعاجم، فهذا الأزهري يعتمده في شرح مادة عرض "العَرَض: مَا عَرَضَ للْإِنْسَان من أمرٍ يحبِسُه، من مرضٍ أَو لُصوص. ... عَن الْأَصْمَعِي: العَرْضَ: خِلاف الطُّول. ... وَقَالَ الْأَصْمَعِي: العَرْض: الْجَبَل." [4] فقد أورد لكلمة (العرض) أكثر من معنى ، وعند الزبيدي في تاج العروس "العَرْضُ: خِلافُ الطُّولِ، ... العَرَضُ، بالتَّحْرِيك، كَمَا تَقُولُ: قَبَضَ الشَّيْءَ قَبْضاً، وأَلْقَاه فِي القَبَضِ العَرْضُ .....: الجَبَلُ نَفْسُه،"[5] وكذا في اللسان قال ابن منظور " العرض خلاف الطول والجمع أعراض ، وأعرض

(1) المزهر في علوم اللغة وأنواعها 369/1.

(2) انظر: في اللهجات العربية لإبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية 1973م ص 190.

(3) انظرك فصول في فقه اللغة ص325.

(4) تهذيب اللغة 290/1.

(5) تاج العروس 391/18.

صار ذا عرض، والعرض الناحية "، [1] وقوله في موضع آخر عند شرح كلمة المضاف" ضافه الهم أي نزل به، والمضاف الملجأ المُحرج المثقل بالشر" [2].

والذي نلحظه أنّ الزوزني قد استفاد فائدة كبيرة من ظاهرة المشترك اللفظي في تفسير بعض ألفاظ المعلقات ومن ذلك تفسيره لقول امريء القيس:

إذا ما الثّريّا في السَّماءِ تعَرَّضتْ تَعرُّضَ أثناءِ الوِشاحِ المُفصّلِ[3]

فقد أورد الزوزني في شرح البيت " التعرض: الاستقبال ، والتعرض إبداء العرض ، وهو الناحية، والتعرض الأخذ في الذهاب عرضًا " [4]، فقد فسر (العرض) بأكثر من معنى.

وكذا عند تفسيره لمفردات بيت طرفة الذي يقول فيه:

وكَرّي إذا نادى المُضافُ مُحَنّبا كَسِيد الغضا نبّهتهُ المتَوَرِّد[5]

قال الزوزني :" المضاف الخائف والمذعور ، والمضاف الملجأ" [6] فقد ذكر للمفردة معنيين يدخلانها في دائرة المشترك اللفظي .

ونجد ذلك في تفسيره لبيت الحارث بن حلزة الذي يقول فيه :

زَعَمُوا أنّ كلَّ منْ ضَرَبَ العَيْـ رَ مُوالٍ لنا وأنّا الولاءُ[7]

قال الزوزني " العير في هذا البيت يفسر بالسيد ، والحمار ، والوتد، والقذى ، وجبل بعينه " [8] فهنا فسر كلمة (العير) بعدد من المعاني، وكلها يمكن يتحمل مضمون البيت معناها، بينما نجده قد فسر ذات اللفظة (العير) في معلقة امرئ القيس في البيت الذي يقول فيه:

ووادٍ كجوفِ العَيْرِ قفْرٍ قَطَعْتُه به الذئبُ يَعْوي كالخَلِيعِ المُعيَّلِ[9]

---

(1) لسان العرب 99/10 (عرض).

(2) لسان العرب 78/9 (ضيف).

(3) ديوان امرئ القييس ص 100.

(4) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 26 .

(5) ديوان طرفة ص43.

(6) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 87.

(7) شرح الزوزني للمعلقات السبع ص227.

(8) شرح المعلقات السبع للزوزني ص227.

(9) ديوان امرئ القيس ص 109.

نجده قد فسرها وشرحها بالحمار فقال " العير: الحمار" [1] ،وذلك لأن مضمون البيت لا يتحمل غير ذلك.

2-الشرح بالمغاير (الضد):

يخلط كثير من الناس بين التضاد والأضداد ، ويظن آخرون أن التضاد هو الأضداد، ولأهمية الأمر لابد من التفريق بين المصطلحين . فمصطلح التضاد يقصد به الظاهرة اللغوية التي تعني وجود ضد لبعض الألفاظ ، كصغير ضده كبير ، وليل ضده نهار ، و عالم ضده جاهل وهكذا ، أما الأضداد يقصد بها ظاهرة لغوية عدّها بعض العلماء من قبيل المشترك اللفظي ، وهي تعني دلالة لفظ واحد على معنيين متضادين [2]، وذلك مثل (البين) تعني الظهور والبعد ، فنقول : بان الرجل أي بعد ، ويمكن أن تكون بمعنى ظهر . وكذا كلمة (الجون) فهي تعني الأسود والأبيض، وسوف نتناول هذا اللون من التفسير - أعني التفسير بالأضداد - بعد الفراغ من عرض التفسير والشرح بالضد.

وبالنظر في معاجم العربية نجد أن أصحابها قد اعتمدوا الضد وسيلة من وسائل شرح المفردات وتقريب دلالتها ، وقد وردت نماذج متعددة لهذا اللون من الشرح ، ففي اللسان " البطن من الإنسان وسائر الحيوان: معروف خلاف الظهر ، مذكر وتأنيه لغة، والباطنة خلاف الظاهرة، والبطانة خلاف الظهارة" [3]، ونجد ذلك عند الجوهري في صحاحه "البَطنُ: خلاف الظهر، وهو مذكر " [4]، ونجده كذلك عند الفيروزآبادي في القاموس المحيط "البَطْنُ: خِلافُ الظَّهْرِ، مُذَكَّر" [5]، ومن ذلك أيضًا ما ورد عند صاحب الصحاح عند تفسيره للبطء "البُطْءُ: نقيض السرعة " [6]، وكذا

---

(1) شرح المعلقات السبع للزوزني ص41.

(2) انظر في اللهجات العربية ص 204.

(3) لسان العرب 104/2-105 (بطن).

(4) صحاح اللغة وتاج العربية للجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1987م 2079/5.

(5) القاموس المحيط ص1180.

(6) الصحاح 36/1.

مـا أورد في اللسـان " الـبطء والإبطـاء نقـيض الإسـراع "[1] ومـن ذلـك أيضـاً مـا ورد في الصحاح في تفسـير الشـؤم " والشُـؤْمُ: نقـيض الـيُمْن، يقـال: رجـل مَشـومٌ ومشـئوم"[2]، ومنـه أيضـاً مـا جـاء في التهـذيب "والشُّـؤْم بالضَّـمّ وَلَا يُعْتَـدّ بـالإِطْلاق لِشُـهْرَته ولرَسْـمِه بـالوَاوِ: (ضَـدُّ الـيُمْن"[3] وإذا تتبعنـا شـرح الزوزنـي لهـذه المفـردات -تحديـدًا- عنـد تفسـيره لأبيـات المعلقـات نجـده قـد سـلك ذات الطريـق، واعتمـد على الشـرح بالضـد لتحريـر معنى البيت والوصول إلى مراده. ومن ذلك شرحه لقول طرفة:

فآليتُ لا ينفكُّ كَشْحي بِطانةً لِعَضّبٍ رقيقِ الشّفْرَتَين مُهَنَّدِ[4]

فقال في تفسير البطانة "البطانة : نقيض الظهارة "[5]، ونقيض تعني (ضد وخلاف) التي أوردها أصحاب المعاجم ، ونجد ذلك في شرحه لقول طرفة أيضا:

بطيءٍ عن الجُلّي سريعٍ إلى الخَنا ذلولٍ بأجْماع الرجالِ مُلَهّدِ[6]

قال الزوزني : " البطء ضد العجلة ، والفعل بطؤ يبطأ"[7]، فهو قد سلك في شرح مفردة (البطء) مسلك المعجميين تمامًا ، ونجد ذلك عنده أيضًا عندما يشرح قول زهير:

فتُنْتِجْ لكم غِلمانَ أشأمَ كُلُّهم كأحْمرِ عادٍ ثُمّ تُرْضِع فَتفْطِمِ[8]

فقد فسر الشؤم بأنه ضد اليمن فقال " الشؤم ضد اليمن ، ورجل مشؤوم ورجال مشائيم ، كما يقال رجل ميمون ورجال ميامين"[9]، ومما سبق نلحظ بوضوح مدى استفادة الزوزني من ظاهرة التضاد في تفسير مفردات الأبيات وبيان شرحها.

3- **الشرح بالأضداد:**

---

(1) لسان العرب100/2 (بطأ).

(2) الصحاح 1957/5.

(3) تاج العروس 445/32.

(4) ديوان طرفة ص36.

(5) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 94.

(6) ديوان طرفة ص 38 ، ملهد : مدفوع بجميع الكف.

(7) شرح المعلقات السبع للزوني ص 98.

(8) ديوان زهير ص 68 والمقصود بأحمر عاد أحمر ثمود فهو عاقر الناقة.

(9) شرح المعلقات السبع للزوزني 118.

كنا قد شرحنا معنى مصطلح الأضداد، وفسرنا معناه، وقلنا إنها ظاهرة لغوية تعني دلالة لفظ واحد على معنيين متضادين، وقد أفاد أصحاب المعاجم من هذه الظاهرة في بناء معاجمهم ، ومن أمثلة ذلك ما ورد في التهذيب " يكون (البَين) بِمَعْنى: الفِراق؛ وَيكون بِمَعْنى: الوَصْل" [1]، ومنه أيضا ما ورد في الصحاح" البَيْنُ: الفراق. تقول منه: بانَ يَبينُ بَيْناً وبَيْنونَةً. والبَيْنُ: الوصلُ وهو من الأضداد" [2] ، ومن ذلك أيضًا ما جاء في القاموس"البَيْنُ: يكونُ فُرْقَةً ووَصْلاً، واسْماً، وظَرْفاً مُتَمَكِّناً"[3]، وكذا في اللسان يقول ابن منظور "البين في كلام العرب جاء على وجهين: يكون البين الفرقة ، ويكون الوصل ، بان يبين بينًا وبينونة ، وهو من الأضداد " [4] ، ومن ذلك لفظ (الجون) قال فيه صاحب التهذيب " عَن الأصمعيّ: الجَوْنُ الأسْودَ، والجَونُ الأبْيض" [5] وقال فيه الجوهري في صحاحه " الجَوْنُ: الأبيض... والجون الأسود ، وهو من الأضداد" [6]، وكذا في اللسان يقول ابن منظور " الجون: الأسود اليحمومي، والجون: الأسود المشرب حمرة، والجون أيضا: الأحمر الخالص، والجون الأبيض، والجمع من كل ذلك جُون بالضم ... وهو من الأضداد" [7].

فنلاحظ مما سبق أنَّ أرباب المعاجم قد اعتمدوا ظاهرة الأضداد في الشرح والتفسير وأفادوا فائدة عظيمة، بل بعضهم نصّ بعد الشرح على أنّها من الأضداد زيادة في البيان والتوضيح .وبعضهم زاد على المعنيين، وأورد أربعة معان متضادة كما في اللسان. وفي هذه الحال فسياق الكلام هو الذي يحدد المعنى المراد.

---

(1) تهذيب اللغة 357/15.

(2) الصحاح 2082/5.

(3) القاموس المحيط 1182.

(4) لسان العرب 195/2 (بين).

(5) تهذيب اللغة 139/11.

(6) الصحاح 2095/5.

(7) لسان العرب 245/3.

ومثل ما أفاد المعجميون من ظاهرة الأضداد، فقد أفاد منها شُرّاح الشعر العربي بعامة، ومنهم الزوزني الذي نراه قد أفاد من هذه الظاهرة اللغوية فائدة ليست بالهينة، ونجد ذلك عند تفسيره لقول امرئ القيس:

كأنّي غَداةَ البَيْنِ يَومَ تَحَمَّلُوا لَدى سَمُراتِ الحيّ نافقُ حَنْظَلِ[1]

قال الشارح: " بان يبين بينًا وبينونة ، وهو من الأضداد " وفسر المحقق ذلك بقوله :" والبين: الفرقة وهو المراد هنا وفي القاموس البين يكون فرقة ووصلا" [2] فأشار الزوزني وصرّح بأنَّ اللفظ من الأضداد. ومن ذلك أيضا ما ورد عنده عند شرحه لبيت عمرو بن كلثوم الذي يقول فيه:

إذا وُضِعتْ عنِ الأبْطالِ يَومًا رأيتَ لهَا جُلُودَ القومِ جُوْنا [3]

قال في شرح (الجون): " الجون الأسود ، والجون : الأبيض ، والجمع الجُون" [4]، فالأبيض ضد الأسود، وهذا ما فسر به قول الحارث بن حلزة إذ يقول:

وكَانّ المنونَ ترْدِي بنا أرْ عنَ جَوْنًا ينْجَابُ عنه العَمَاءُ [5]

قال الزوزني:" الجون الأسود والأبيض جميعًا، والجمع الجُون ، والمراد الأسود في البيت"، [6] وهذا ما عنيناه بقولنا السياق هو الذي يحدد المعنى المراد. ومن ألفاظ الأضداد التي جاءت في شرح المعلقات السبع للزوزني كلمة (الرتو) والتي تكون بمعنى الشد والإرخاء ونجد ذلك عند معالجته لقول الحارث بن حلزة أيضًا في البيت الذي يقول فيه:

مُكْفَهِرًّا عَلى الحَوادثِ لا تَرْ تُوه للدّهْر مؤيدٌ صَمَّاء[7]

---

(1) ديوان امرئ القيس ص 12.

(2) شرح المعلقات السبع للزوزني ص92.

(3) ديوان عمرو بن كلثوم ص99.

(4) شرح المعلقات السبع للزوزني 189.

(5) ديوان الحارث بن حلزة طلال حرب ، دار صادر بيروت ، 1996م، ص41.

(6) شرح المعلقات السبع للزوزني ص229.

(7) ديوان الحارث بن حلزة ص 42.

فقال الزوزني " الرتو: الشدُّ والإرخاء جميعا ، وهو من الأضداد ، ولكنه في البيت بمعنى الإرخاء [1] "

ومن الأمثلة السابقة تبين لنا مدى إفادة الزوزني من ظاهرة الأضداد في العربية في شرح الكلمات وتفسير دلالاتها لتساعده في الوصول إلى تحرير معانى أبيات المعلقات وبيان دلالاتها ومرادها.

المبحث الثالث

الشرح بالسياق :

والشرح بالسياق يكون في صور عدة من أهمها .

1- الشرح بالتعريف:

يعدُّ الشرح بالتعريف والتفسير بمقتضاه تمثيلًا للمعنى بواسطة ألفاظ أخرى ، ولهذا يقول المناطقة عن التعريف: " إنّه مجموع الصفات التي تُكوّن مفهوم الشيء مميزًا عمّا عداه ، فالتعريف والمعرّف تعبيران عن شيء واحد، أحدهما مجمل والآخر مُفصَّل ومن هنا سمته الكتب العربية القول الشارح" [2]، وقد يكون التعريف بجملة متصلة طويلة، وقد يكون بجملة قصيرة تلي كلمة مفردة، ونجد ذلك عند المعجميين بكثرة وافرة ، وغالبا ما يكون ذلك عند شرح التعبيرات الاصطلاحية أو الكلمات التي أصبحت ذات دلالة خاصة، أو وصف خاص تعرف به، ومن أمثلة ذلك ماورد عند ابن منظور في اللسان عندما عرف كلمة يأجج قال "مكان بمكة على سبعة أميال، وكان من منازل عبد الله بن الزبير فلما قتله الحجاج أنزله المُجذّمين" [3]، ونجدها عند الزبيدي في التاج عندما شرح معنى العذراء "والبِكْرُ، بِالْكَسْرِ: العَذْرَاءُ، وَهِي الَّتِي لم تُفْتَضَّ" [4]، وعند الأزهري في التهذيب "والعَذْراء: الرَمْلة الَّتِي لم تُوطأ. ودُرَّة عَذْراء: لم تُثْقب." [5] فطريقة التعريف واحدة، وذلك ببيان صفة تقرب معنى الكلمة وتحدد دلالتها.

---

(1) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 229.

(2) صناعة المعجم الحديث ، أحمد مختار عمر ، كلية دار العلوم ، 1988م ، ص131.

(3) لسان العرب ، لابن منظور ،دار صادر بيروت 305/15 (يأجج).

(4) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 162.

(5) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 162.

ونجد أنّ الزوزني في شرحه للمعلقات قد سار على طريقة المعجميين في اعتماد طريقة التعريف في شرح المفردات ، ونلمس ذلك عند شرحه لبيت امرئ القيس الذي يقول فيه:

فعنَّ لنا سِربٌ كأنَّ نِعاجَه عَذَارى دوارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ [1]

قال الزوزني في شرح البيت : "العذراء : البكر التي لم تمسّ، الدوار: حجر كان أهل الجاهلية ينصبونه ويطوفون حوله تشبيها بالطائفين حول الكعبة إذا نأنوا عن الكعبة ". [2] فهو قد حدّد معنى اللفظين ودلالتهما بجملتين الأولى قصيرة ، والثانية طويلة . ونجد التفسير بالتعريف كذلك عنده في شرحه لبيت زهير الذي يقول فيه:

ودارٌ لها بالرّقْمَتيْن كأنّها مَرَاجعُ وَشْمٍ في نَواشِرِ مِعْصَمِ [3]

يقول الزوزني " الرقمتان : حرتان ، إحداهما قريبة من البصرة ، وأخرى قريبة من المدينة " [4] ، فهنا حدد معنى (الرقمتين) بمفردة واحدة، ثم أتبعها بجملة تفصّل المكان وتحدده، وكذا عند شرحه لبيت الحارث بن حلزة الذي يقول فيه:

واذْكُرُوا حِلْفَ ذِي المَجَازِ وما قُدِّ مّ فيه العُهُودُ والكُفَلاءُ [5]

قال الزوزني :" ذو المجاز موضع جمع فيه عمرو بن هند بكرًا وتغلب وأصلح بينهما وأخذ منهما الوثائق والرهون " [6]، ففي البدء شرح المفردة بأنها موضع ، ثم عرّج على تعريف هذا الموضع وتفصيل حاله.

ومنه كذلك شرحه لقول لبيد بن ربيعة :

فالضيْفُ والجارُ الجنيبُ كأنّما هَبَطا تَبَالةَ مُخْصِبًا أهْدابُها[7]

---

(1) ديوان امريء القيس ، ص115.

(2) شرح المعلقات السبع للزوزني للمعلقات السبع ، المكتبة العصرية صيد بيروت ، 1421هـ ص50.

(3) ديوان زهير ، اعتناء حمدو طلاس ، دار المعرفة ، بيروت 2003م ،ص65.

(4) شرح المعلقات السبع للزوزني ص105.

(5) ديوان الحارث بن حلزة ، ص44.

(6) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 239.

(7) ديوان لبيد بن ربيعة ، دار المعرفة ، بيروت 2007م ص115 وفي الشرح (أهضامها).

قال في شرح (تبالة) " تبالة واد مخصب من أودية اليمن" [1]، فهنا قد شرح كلمة (تبالة) بجملة متصلة.

فنلاحظ في الأمثلة السابقة التى أوردناها كنماذج على الشرح بالتعريف - أن الزوزني قد اعتمد فيها طريقة البناء المعجمي تمامًا، وسلك مسالك المعجمين في شرح المفردات ، ومنها نتيقن تمامًا من اختمار فكرة الصناعة المعجمية لديه عند تأليفه لهذا الشرح.

2- الشرح بالأمثلة التوضيحية:

والمقصود بهذا اللون من الشرح هو ذكر ما يصاحب اللفظ المراد شرحه بما يساعد في توضيح معناه ، وذلك بما ترد فيه اللفظة من استعمال ، وهذا اللون من الشرح والتفسير يعتمد اعتمادًا كليًا على سوق الشواهد، والتي غالبا ما تكون عند المعجميين شواهد مختارة من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر العربي الرصين ، والنثر العربي الفصيح.

والشرح بالسياق التعريفي، والشرح بذكر الأمثلة التوضيحية يكملان بعضهما البعض تمامًا، فطريقة الشرح بالسياق التعريفي تكون قبلا بتحديد معنى الكلمة من خلال السياق ، ثم تأتي الطريقة الثانية – طريقة الأمثلة التوضيحية – لبيان المعنى بصورة أوسع بذكر أمثلة لتطبيقات مختلفة لاستعمال الكلمة ، وكما يقول سماح رضوان : لذا يجب التفريق بين ذكر المثال التوضيحي، وذكر الكلمة في سياقها ، خصوصًا أن إحدى هاتين الطريقتين تأتي قبل الشرح حيث يعتمد المعنى عليها ، وهي ذكر الكلمة في سياقها ، والثانية تأتي بعد الشرح تصديقًا وتثبيتًا له، وهي ذكر المثال التوضيحي ، ولا يسوق المعجمي بعده معنى إضافيًا غير المعنى الذي ذكره[2] ونلحظ ذلك بكثرة عند المعجميين فهذا الأزهري يشرح معنى الآرام ثم يأتي بما يؤيد قوله (والأُدمُ من الظباء بيضٌ تعلوهن جُدَدٌ فِيهِنَّ غُبرةٌ، فَإِن كَانَت خالصةَ الْبيَاض فهيَ الآرَامُ. وَأَخْبرنِي الْمُنْذِرِيّ عَن الْقَاسِم بن مُحَمَّد الْأَنْبَارِي عَن أَحْمد بن عبيد بن نَاصح قَالَ: كُنَّا نَأْلَفُ مَجْلسَ أبي أَيُّوب ابْن أُخْت أبي الْوَزير، فَقَالَ لنا يَوْمًا، وَكَانَ ابْن السِّكِّيتِ حَاضرًا: مَا تقولُ فِي الأُدمِ من الظبا؟ فَقَالَ: هيَ البيضُ البُطونِ السُّمْر الظُّهُور يَفصِلُ بَين لَوْن ظُهُورهَا وبُطونها

(1) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 162.

(2) انظر: طريقة شرح المعنى في المعاجم العربية القديمة ، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم ، 2005م ص 149

جُدَّتان مِسْكيَّتان،)[1]، وقال الزبيدي: (والأُدْمُ من الظِّباء بِيضٌ يَعْلُوهنّ جُدَدٌ فِيهِنَّ غُبْرَةٌ، فَإِن كَانَت خالِصَةَ البَياضِ فَهِيَ الآرامُ. وَرَوَى الأَزهريُّ بِسَنَدِهِ عَن أَحْمَدَ بنِ عُبَيْد بنِ ناصِحٍ قَالَ: كُنَّا نَأْلَفُ مجلسَ أبي أَيُّوب بنِ أُخْتِ الْوَزير، فَقَالَ لنا يَوْمًا، وَكَانَ ابنُ السِّكِّيت حَاضرًا، مَا تَقول فِي! الأُدْمِ من الظِّباء فَقَالَ: هِيَ البِيضُ) [2]، وقال الأزهري في تفسير الزرقة (: الزَّرْقةُ فِي الْعين، تَقول: زَرِقتْ عينهُ تَزْرَق زَرَقاً وزُرْقة وازْراقتِ ازْريقاقاً. وَقَالَ الله جلّ وَعزّ: {وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقاً})[3] وفي الصحاح (رجلٌ أَزْرَقُ العينِ، والمرأة زَرقاءُ بيّنةُ الزَّرَقِ. الاسمُ الزُّرْقَةُ. وقد زرِقت عينه بالكسر. قال الشاعر:

لقدْ زَرِقَتْ عَيْناك يا بنَ مُكَعْبِرٍ كما كُلُّ ضَبِيٍّ مِن اللُّؤمِ أَزْرَقُ) [4]

فنجد أنَّ هؤلاء المعجميين قد فسروا المفردات بالسياق المعروف، ثم أتبعوا الشرح بأمثلة توضح المراد؛ فالأزهري جاء بخبر في موضع، وبآية قرآنية في موضع آخر، بينما جاء الزبيدي بخبر شبيه بما جاء به الأزهري. أما صاحب الصحاح فقد جاء ببيت من الشعر يعضد به ما جلبه من معنى. والزوزني قد أفاد من هذه الظاهرة في شرحه لمفردات المعلقات فنجد ذلك عنده في مواضع منها : عند شرح قول امرئ القيس:

قفَا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنْزِلِ بسِقطِ اللّوى بين الدَّخولِ فحَوْمَلِ[5]

قال في شرح (قفا): (... ويجوز أن يكون المراد به قف قف ، فإلحاق الألف أمارة دالة على تكرير اللفظ كما قال أبو عثمان المازني في قوله (قال ربِّ ارجعون) المراد منه ارجعني ارجعني ، جعلت الواو علما مشعراً بأن المعنى المراد تكرير اللفظ مرارًا) [6] فالزوزني قد جلب هنا آية قرآنية يقرب بها مفهوم اللفظ ودلالته ، ومثل ذلك عند شرحه لقول امرئ القيس أيضًا:

---

(1) تهذيب اللغة 151/14.

(2) تاج العروس 195/31

(3) تهذيب اللغة 324/8

(4) تهذيب اللغة 151/14

(5) ديوان امرئ القيس ص 91

(6) شرح المعلقات السبع للزوزني ص9

كأنّي غَدَاةَ البَيْنِ يومَ تَحَمّلُوا لَدى سَمُراتِ الحيّ ناقِفُ حَنْظَلِ[1]

فقال في معنى (اليوم) " اليوم معروف ، مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها ، وقد يراد باليوم الوقت مطلقا، ومنه الحديث (تلك أيام الهرج) أي وقته "[2]، فقد جلب هنا حديثا أورده أبوداود[3] في كتاب الفتن والملاحم ليعضد به شرحه لمعنى (اليوم) ، ولكن أوضح ما أورده الزوزني في هذا الشأن شرحه لمعنى الخدر في بيت امرئ الذي يقول:

ويَوْمَ دَخلتُ الخِدرَ خِدرَ عُنَيزةٍ فقالَ لكَ الوَيْلاتُ إنّك مُرْجِلي[4]

يقول :" الخدر : الهودج ، والجمع الخدور ، ويستعار للستر والحجلة (ساتر للعروس) وغيرهما ومنه قولهم : خدرت الجارية وجارية مخدرة أي مقصورة في خدرها لا تبرز منه ، ومنه قولهم خدر الأسد خدراً وأخدر إخدارًا إذا لزم عرينه ومنه قول ليلى الأخيلية :

فتىً كان أحْيَا مِن فتاةٍ حييّةٍ وأشجعَ مِن ليْثٍ بخفانَ خادرِ

وقول الراجز:

كالأسد الورد غدا من مخدره

والمراد بالخدر في البيت الهودج "[5] فانظر إليه كيف تدرج في شرح المفردة من تعريف بكلمة واحدة، إلى سياق متصل مشفوع بأمثلة من الشعر والرجز. ومن ذلك أيضا شرحه لمفردة (الوشم) في بيت طرفة بن العبد الذي يقول فيه:

لِخَوْلةَ أطْلالٌ بِبُرقَةِ ثَهْمَدِ تَلُوحُ كَباقِي الوَشْمِ في ظَاهِرِ اليَدِ [6]

يقول " الوشم : غرز ظاهر اليد وغيره بإبرة وحشو المغارز بالكحل أو النقش بالنيلج (دخان الشحم)، والفعل منه وشم يشم وشماً ، ثم جُعل اسما تلك النقوش ، وتجمع بالوشام

---

(1) ديوان امرئ القيس ص 91

(2) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 12

(3) رواه أبو داود عن أبي مسعود ، كتاب الفتن والملاحم ، باب السعي في الفتنة حديث رقم (4258).

(4) ديوان امرئ القيس ص 95.

(5) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 16.

(6) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 12.

والوشوم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام (لعن الله الواشمة والمستوشمة[1]) "[2] فنجد الزوزني هنا قد شرح المفردة شرحا سياقيًا مدعما بشاهد من الحديث الشريف كمثال توضيحي لمراده .

3-الشرح بالنوع :

وهذا اللون من الشرح والتفسير نجده عند المعجميين بكثرة وافرة ، وبصيغ مختلفة أهمها ثلاث صيغ:

الصيغة الأولى: (صيغة ضَرْبٌ من كذا) ويعنون بالضَرْب النوع ، ومن ذلك ماورده الزبيدي في تعريف اليعمور ،(يعمور: ضَرْب من الشّجر.) [3] ونجدها عند الأزهري عند تعريف الخبب (والخَبَبُ: ضَرْب من العَدْوِ) [4] ، وكذا عند الفيروزآبادي في قاموسه في تعريف (التقريب)(والتَّقْريبُ: ضَرْبٌ من العَدْوِ)[5].

الطريقة الثانية: باستعمال (من) التبعيضية فيقولون : كذا من كذا ، ونجد ذلك عندهم بكثرة أيضًا، ومن ذلك ما أورده الجوهري في الصحاح " العُشَر: من العِضَاه، وَهُوَ من كِبَارِ الشَّجَرِ، وَله صَمْغٌ حُلْوٌ، وَهُوَ عَرِيضُ الوَرَق، يَنْبُت صُعُداً فِي السَّماءِ"[6] ، ومنه ما جاء في القاموس المحيط "الضالُ من السِدْرِ: ما كانَ عَذْياً، واحدتُهُ: بهاءٍ، أو السِدْرُ البَرّيُّ، وشجرٌ آخَرُ." [7] ومنه ما جاء في التاج أيضًا "الضَّالُ مِنَ السِّدْرِ: مَا كانَ عِذْياً، غيرُ مَهْمُوزٍ، واحِدَتُهُ بِهَاءٍ، أَو السِّدْرُ البَرِّيّ"[8] ، وفي الصحاح أيضًا " والحدج بالكسر: الحمل، ومَرْكَبٌ من مراكب النساء أيضًا"[9].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الباس ، باب المستوشمة حديث رقم (5948).

(2) ديوان طرفة ص 25.

(3) تاج العروس 54/13.

(4) تهذيب اللغة9/7.

(5) القاموس المحيط ص124.

(6) الصحاح 117/1.

(7) القاموس المجيد ص 1024.

(8) تاج العروس 359/29.

(9) الصحاح 305/1.

والصيغة الثالثة : (نوع من كذا) ونجد هذا الضرب من التعريف قليل عند المعجميين ، ومثال ذلك ما أورده الجوهري في تعريف العجرة " والعِجْرَةُ بالكسر: نوعٌ من العِمَّةِ." [1] وكذا عند صاحب القاموس "الحَراشِنُ: نَوْعٌ من السَّمَك ".[2]

ومما سبق نجد أنَّ هؤلاء المعجميين قد استعلموا طرائق التفسير بالنوع الثلاث في بناء معاجمهم، وهي ذات الطرائق التي التمسها الزوزني في شرحه للمعلقات السبع فقد استعمل الطريقة الأولى (ضَرْبٌ من كذا) عندما شرح قول طرفة في وصف ناقته :

كأنّ كِنَاسَيْ ضَالةٍ يكْنِفانِها وأطَرَ قسيٍّ تحتَ صُلْبٍ مؤَيَّدِ[3]

قال الزوزني في شرح الضالة: " الضال : ضَرْب من الشجر وهو السدر البري "[4] ، فنجده قد شرح اللفظة بقوله (ضَرْبٌ من...) وهي طريقة معتمدة في شروح المعجميين كما ذكرنا آنفًا ، ونجد ذلك عنده أيضًا عند شرحه لبيت لبيد الذي يقول فيه :

مَشْمُولةٍ غلِثتْ بنابتِ عرْفَجٍ كَدُخَانِ نارٍ ساطعٍ أسنَامُها [5]

فقال في شرح مفردة (العرفج): " العرفج : ضرب من الشجر"[6] .

الصيغة الثانية: (استعمال من التبعيضية) ونجد أن الزوزني قد اعتمد هذه الصيغة في مواضع كثيرة في شرحه، من ذلك ما أورده عند شرح (الحِدج) في بيت طرفة الذي يقول فيه :

كأنَّ حُدوجَ المالكيّةِ غُدْوةً خلايا سَفِينٍ بالنَواصِفِ من دَدِ[7]

فقال : " الحِدج : مركب من مراكب النساء ، والجمع حُدُوج وأحداج " [8]، ومن ذلك أيضاً شرحه لبيت لبيد :

---

(1) الصحاح 737/2.

(2) القاموس المحيط1189.

(3) ديوان طرفة ص 29 والكناس البيت الذي يتخذه الوحش في أصل الشجر.

(4) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 74.

(5) ديوان لبيد ص 110 غلثت : خلطت ما أوقدت به.

(6) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 146.

(7) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 66 .

(8) ديوان طرفة ص 36 أدد اسم واد.

فَلَحِقْنَ واعْتَكَرْن لها مَدْرِيَّةٌ كالسَّمْهرِيّةِ حَدُّها وتَمامُها[1]

يقول الزوزني:" السمهرية: من الرماح منسوبة إلى سمهر رجل كان بقرية تسمى خطا من قرى البحرين " [2]، ومن ذلك أيضًا شرحه لقول عمرو بن كلثوم:

كأنّ سُيوفَنَا منّا ومِنْهُم مَخَارِيقٌ بأيْدِي لاعِبِينا

يقول في شرح (مخاريق) : " المخراق معروف، والمخراق أيضا سيف من خشب " و (من) هنا للبيان أقرب من التبعيض، فنجد الزوزني في هذه الأمثلة قد اعتمد طريقة المعجميين التي تعتمد على (من) التبعيضية في بيان النوع والضرب . وهي طريقة معجمية خالصة.

الصيغة الثالثة: (كذا من كذا) وقد اعتمد الزوزني هذه الطريقة والصيغة في مواطن قليلة جدًا من شرحه ، ويبدو أنَّه كان يكتفي بالصيغتين الأولى والثانية، إذا إنّ الصيغتين الثانية والثالثة يحملان ذات المعنى، ويشيران إلى ذات الدلالة، ومن الصيغة الثالثة نكتفي بما أورده عند شرحه لبيت امرئ القيس الذي يقول فيه :

ترى بَعَرَ الأرْآمِ في عَرَصَاتِها وقِيْعانِها كأنّه حَبُّ فُلْفُلِ[3]

يقول في شرح كلمة (الفُلفُل): " الفُلفُل : نوع من الحبوب والبذور "[4] فهنا قد جاء بلفظ النوع صراحة . وذلك مسلك من مسالك أهل المعاجم، ولكنه قليل في شرح الزوزني للمعلقات.

الخاتمة

وفي الختام أقول الحمد لله الذي وفقني لأجمع مادة هذا البحث من مصادر شتى، ومن مراجع عدة، وآمل أن أكون قد وفقت في عرض ما جمعته من معلومات، ومن نتائج تمثلت في الآتي:

1- أفاد الزوزني من ظاهرة الترادف اللغوي في شرحه وتفسيره لأبيات المعلقات وهي فكرة معجمية خالصة.

---

(1) ديوان لبيد ص 113 ، اعتكرت : كرت.

(2) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 154.

(3) ديوان امرئ القيس ص 92.

(4) شرح المعلقات السبع للزوزني ص11.

2- استفاد الزوزني في شرحه من ظاهرة النظائر التي اعتمدتها المعاجم العربية كوسيلة من وسائل الشرح وتقريب المعنى .

3- تكررت ظاهرة الشرح بالاشتقاق والصيغ الصرفية مرات عديدة في شرح المعلقات السبع للزوزني .

4- مثّل المشترك اللفظي أداة مهمة لدى الزوزني في الوصول للمعنى المراد. وكان عاملًا مهمًا في تحرير معاني الأبيات.

5- اعتمد الزوزني كثيرًا على التفسير بالضد والتفسير بالنوع لبيان دلالة اللفظ وتقريب معناه .

6- كان للشرح بالأمثلة التوضيحية وبالتعريف بنوعيه المختصر والممتد دورٌ بارز في شرح المعلقات السبع للزوزني .

7- من الوسائل والطرائق التي اعتمدها الزوزني في شرحه تبدو فكرة الصناعة المعجمية بيّنة واضحة بجلاء .

المراجع

1- البحث اللغوي ، د. محمود فهمي حجازي ، دار غريب ، القاهرة 1987

2- تاج العروس للزبيدي ، مجموعة محققين ، دار الهداية ، دون تاريخ

3- تهذيب اللغة للأزهري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، دون تاريخ

4- جمهرة أشعار العرب للقرني ، دار المسيرة، بيروت ، دون تاريخ

5- ديوان الحارث بن حلزة ، تقديم طلال حرب ، دار صادر بيروت ، 1996م.

6- ديوان امريء القيس ن شرح د. عمر الطباع ، دار ألأرقم ، بيروت ، لبنان

7- ديوان زهير بن أبي سلمى ، تحقيق حمدو طماس دار المعرفة بيروت لبنان 2003 .

8- ديوان طرفة ، تحقيق حمدو طماس ، دار المعرفة بيروت لبنان 2006

9- ديوان عمرو بن كلثوم ، د. عمر الطباع ، دار القلم ،بيروت لبنان

10- ديوان عنترة بن شداد ، دار صادر ،بيروت لبنان 2005م

11- ديوان لبيد بن ربيعة ، دار المعرفة ، بيروت 2007م.

12- شرح المعلقات السبع الزوزني ، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي المكتبة العصرية ، بيروت 2000م

13- صحاح اللغة وتاج العربية للجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م

14- صحيح البخاري، تحقيق أحمد زهوة وآخر، دار الكتاب العربي، بيروت ، 2006م.
15- طريقة شرح المعنى في المعاجم العربية القديمة ، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم ، 2005م
16- علم الدلالة أحمد مختار عمر، عالم الكتب 1992م
17- فصول في فقه اللغة ، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، 1997م.
18- في اللهجات العربية لإبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية 1973م
19- القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2005
20- الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، 1982م .
21- لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت ، مكتبة الهلال، دون تاريخ
22- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ، تحقيق على البجاوي ، مطبعة الحلبي ، مصر 1958م .